رمل زيتا او خربة قزازة

قرية رمل زيتا (خربة قزازة) المهجّرة – قضاء طولكرم

رَمْل زيتا، المعروفة أيضاً باسم «خربة قزازة»، قرية فلسطينية مهجّرة من قرى قضاء طولكرم. كانت تقع في السهل الساحلي الأوسط، على مسافة نحو 15 كيلومتراً من مدينة طولكرم، وعلى ارتفاع متوسط يقارب 25 متراً عن سطح البحر.

هُجّر سكان رمل زيتا خلال النكبة واحتلال فلسطين سنة 1948، في سياق عمليات الهاغاناه المبكرة التي استهدفت التجمعات الفلسطينية في الساحل الأوسط. ولا يحسم وليد الخالدي اليوم الدقيق للتهجير؛ فبينما تفهرس بعض المصادر الفلسطينية اللاحقة يوم 15 آذار/مارس 1948، يكتفي الخالدي بالقول إن القرية هُجرت على الأرجح في ظروف مشابهة للقرى المجاورة التي استهدفتها عمليات الهاغاناه خلال آذار ونيسان 1948.

الاسم والموقع

يَرِد الاسم في المصادر بصيغة «رَمْل زيتا»، كما عُرفت القرية باسم «خربة قزازة». ويجب عدم الخلط بينها وبين قرية «قزازة» من قضاء الرملة، وهي قرية أخرى مختلفة تماماً في الموقع والسكان ومساحة الأراضي وتاريخ الاحتلال.

كانت رمل زيتا مبنية على رقعة أرض رملية مستوية في السهل الساحلي الأوسط. وربطتها طريق فرعية بالطريق العام الساحلي، كما اتصلت بالقرى والطرق المجاورة بواسطة طرق ترابية.

بلغ بعدها عن طولكرم نحو 15 كيلومتراً، وكان متوسط ارتفاعها نحو 25 متراً عن سطح البحر.

علاقة رمل زيتا بقرية زيتا

كانت رمل زيتا تقع في المنطقة الواقعة إلى الشمال الغربي من قرية زيتا. ويظهر تعداد سنة 1931 أهمية التمييز بين التجمعين، إذ جُمعت رمل زيتا وزيتا في رقم سكاني واحد، ولذلك لا يمكن استخراج عدد سكان رمل زيتا منفردة من ذلك التعداد.

أما إحصاءات سنة 1945 ففصلت رمل زيتا عن زيتا، وأثبتت لها سكاناً وأراضي مستقلة.

السكان والمنازل

كان سكان رمل زيتا من العرب المسلمين. ولا تتوافر سلسلة إحصائية مستقلة كاملة للقرية قبل سنة 1945 بسبب دمجها مع زيتا في تعداد 1931.

السنة	عدد السكان	ملاحظة
1931	1,165	رقم رسمي يشمل رمل زيتا وقرية زيتا معاً، ولا يمثل رمل زيتا وحدها
1945	140	الرقم الرسمي المستقل لرمل زيتا في إحصاءات حكومة فلسطين؛ جميعهم مسلمون
1948	نحو 162	تقدير لاحق وليس تعداداً بريطانياً رسمياً
1998	نحو 997 لاجئاً وذريتهم	تقدير ديموغرافي لاحق منشور في «فلسطين في الذاكرة»

سجل تعداد 1931 ما مجموعه 237 منزلاً لرمل زيتا وزيتا معاً، ولذلك لا يجوز تقديم هذا الرقم على أنه عدد منازل رمل زيتا وحدها. ولا يتوافر في المصادر الأساسية التي تمت مراجعتها عدد رسمي مستقل لمنازل رمل زيتا سنة 1945.

العمران والحياة اليومية

كانت منازل رمل زيتا موزعة من دون نمط عمراني منتظم، إذ بُني معظمها وسط المزارع. واستُخدم في البناء الطين والحجارة والأسمنت.

وكان في القرية عدد قليل من المتاجر الصغيرة المتناثرة بين المنازل، والتي وفرت بعض الحاجات اليومية للسكان.

ولا يقدم نص وليد الخالدي الأساسي توثيقاً مستقلاً لمدرسة أو مسجد داخل رمل زيتا، ولذلك لا تُضاف مثل هذه المعالم من مواد إلكترونية اختلطت فيها بيانات القرية ببيانات قزازة من قضاء الرملة.

المياه

اعتمد سكان رمل زيتا على الآبار للحصول على المياه اللازمة للاستعمال المنزلي. كما استُخدمت مياه الآبار في ري جزء من الأراضي الزراعية والبساتين.

ولا يسمي المصدر الأساسي بئراً محددة أو نبعاً معروفاً بالاسم داخل القرية، ولذلك لا تُنسب إليها أسماء مصادر مياه خاصة بقرية زيتا المجاورة.

الحياة الاقتصادية والزراعة

اعتمد سكان رمل زيتا بصورة أساسية على الزراعة وتربية المواشي. وكانت الزراعة في معظمها بعلية تعتمد على مياه الأمطار، بينما رُوي جزء منها بالمياه المستخرجة من الآبار.

شملت المحاصيل الرئيسة الحبوب والخضروات والبطيخ، كما زُرعت الحمضيات والموز وبعض البساتين.

تظهر الإحصاءات الرسمية لسنة 1944/1945 أن الأراضي الزراعية أو الصالحة للزراعة بلغت 14,267 دونماً، أي نحو 96% من مجموع مساحة أراضي القرية.

ملكية الأراضي سنة 1944/1945

بلغ مجموع مساحة أراضي رمل زيتا 14,837 دونماً. وبحسب التصنيف الرسمي لحكومة فلسطين توزعت الملكية كما يأتي:

المجموع	14,837
نوع الملكية	المساحة بالدونم
عرب	12,720
يهود	1,453
عام	664

وعند عرض البيانات بصياغة «فلسطين في الذاكرة» المبسطة، يجب الحفاظ على مصطلحات المصدر: «فلسطيني»، و«تسرّبت للصهاينة»، و«مشاع»، وعدم تحويل مصطلح «تسرّبت للصهاينة» تلقائياً إلى «يهود» لأن هذا تصنيف مختلف عن الجدول الرسمي.

استعمال الأراضي سنة 1944/1945

المجموع الكلي	12,720	1,453	664	14,837
نوع الاستعمال	عرب	يهود	عام	المجموع
الحبوب	12,554	1,441	111	14,106
الحمضيات والموز	126	4	0	130
البساتين والأراضي المروية	27	4	0	31
إجمالي المزروع/الصالح للزراعة	12,707	1,449	111	14,267
غير صالح للزراعة	13	4	553	570

يتوازن الجدول حسابياً بالكامل؛ فإجمالي الأراضي المزروعة أو الصالحة للزراعة البالغ 14,267 دونماً، مضافاً إليه 570 دونماً من الأراضي غير الصالحة للزراعة، يساوي مجموع أراضي القرية البالغ 14,837 دونماً.

ولا يظهر في الجدول الرسمي رقم منفصل للأرض المبنية في رمل زيتا.

خربة تل الذرور

كانت خربة تل الذرور تقع في القسم الشرقي من أراضي رمل زيتا. ويذكر وليد الخالدي أنها كانت في العهد العثماني قرية مزدهرة تتبع قضاء حيفا.

ثم هُجرت خلال فترة الانتداب البريطاني في سياق النزاع على أراضي وادي الحوارث المجاورة. ويجب التمييز بينها وبين نواة رمل زيتا نفسها عند تناول التاريخ السكاني للقرية.

تهجير رمل زيتا

لا تتوافر لدى وليد الخالدي معلومات مباشرة كافية لتحديد اليوم الدقيق أو تفاصيل الهجوم الذي أدى إلى تهجير رمل زيتا.

ويضع الخالدي القرية في سياق عمليات الهاغاناه المبكرة التي هدفت إلى إخلاء منطقة الساحل الأوسط من تجمعاتها الفلسطينية. ويشير، للمقارنة، إلى أن وادي الحوارث المجاورة تعرضت للهجوم وضُغط على سكانها للرحيل في 15 آذار/مارس 1948، بينما طُرد سكان عرب الفقراء في 10 نيسان/أبريل بعد قرار من قيادة الهاغاناه بإخلاء التجمع.

وبناءً على هذا السياق، يرى الخالدي أن سكان رمل زيتا ربما هُجّروا في ظروف مشابهة.

وتفهرس مصادر فلسطينية لاحقة، ومنها قوائم توثيق القرى المهجرة، تاريخ 15 آذار/مارس 1948 باعتباره تاريخ تهجير رمل زيتا. إلا أن هذا التاريخ يجب عرضه بحذر، لأنه لا يظهر في نص الخالدي كتاريخ موثق مباشرة للقرية.

ولا تتوافر أدلة كافية لربط رمل زيتا باسم عملية عسكرية رسمية محددة، أو بلواء أو كتيبة معينة من الهاغاناه. لذلك يكتفى بإثبات أن تهجيرها ارتبط بعمليات الهاغاناه المبكرة في الساحل الأوسط.

تسلسل الاحتلال

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
تصاعد عمليات الهاغاناه في الساحل الأوسط	آذار/مارس 1948	بدأت عمليات مبكرة هدفت إلى إخلاء عدد من التجمعات الفلسطينية في المنطقة الساحلية الوسطى.
هجوم وادي الحوارث المجاورة	15 آذار/مارس 1948	تعرضت وادي الحوارث للهجوم وضُغط على سكانها للرحيل؛ ويستخدم وليد الخالدي هذه الحالة للمقارنة مع الظروف المحتملة لتهجير رمل زيتا.
تهجير رمل زيتا	التاريخ الدقيق غير محسوم؛ تفهرس مصادر لاحقة 15 آذار/مارس 1948	لا يملك وليد الخالدي معلومات مباشرة تحسم اليوم، ويرجح أن السكان هُجّروا في ظروف مشابهة لقرى المنطقة التي استهدفتها الهاغاناه.
طرد عرب الفقراء	10 نيسان/أبريل 1948	طُرد سكان التجمع المجاور بعد قرار من قيادة الهاغاناه؛ وهي حالة أخرى يستخدمها الخالدي لتوضيح نمط العمليات في المنطقة.
الوحدة العسكرية	آذار–نيسان 1948	الهاغاناه؛ لا تحدد المصادر الخاصة برمل زيتا لواءً أو كتيبة بعينها.
تدمير معظم القرية	غير محدد بدقة	تظهر المعاينة الميدانية اللاحقة أن معظم المباني اختفى وبقي منزلان أصليان، لكن تاريخ الهدم غير موثق بدقة.

المستعمرات الإسرائيلية على أراضي القرية

أُنشئت مستعمرة «سدي يتسحاق» سنة 1952 على أراضي رمل زيتا.

أما الخضيرة، التي كانت في الأصل مستعمرة أُنشئت سنة 1890، فقد توسعت لاحقاً بحيث أصبحت بعض ضواحيها قائمة على أراضي القرية.

ولذلك يجب التفريق بين سدي يتسحاق التي أُنشئت بعد النكبة على أراضي رمل زيتا، وبين الخضيرة التي سبقت سنة 1948 ثم توسعت لاحقاً إلى داخل أراضي القرية.

قرية رمل زيتا اليوم

بحسب الوصف الميداني المنشور في مشروع وليد الخالدي «كي لا ننسى / All That Remains»، كانت الأنقاض الحجرية منتشرة في أنحاء موقع رمل زيتا، ولم يبق من منازل القرية الأصلية إلا منزلان.

وكان أحد المنزلين ما يزال تسكنه الأسرة الفلسطينية الوحيدة التي بقيت في القرية وقت إجراء المسح، بينما جُدد المنزل الآخر ووُسع بإضافة غرف جديدة وكانت تقيم فيه أسرة يهودية.

كما نمت في الموقع أشجار التوت والتين والكينا والرمان والصبار، واستُغلت أجزاء من أراضي القرية في زراعة الخضروات والأشجار المثمرة.

هذا الوصف لا يمثل تحققاً ميدانياً من حالة الموقع سنة 2026؛ فالعمل الميداني لمشروع «كي لا ننسى» أُجري بين سنتي 1987 و1990. لذلك فهو وصف تاريخي لحالة الموقع في فترة المسح، ولا تتوافر في المصادر الأساسية التي تمت مراجعتها هنا معاينة ميدانية شاملة وحديثة تسمح بتأكيد حالة المنزلين أو بقية المعالم في الوقت الراهن.

المصادر

- PalQuest – الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية: رمل زيتا
- فلسطين في الذاكرة – رمل زيتا، قضاء طولكرم
- Village Statistics 1945 – جدول قضاء طولكرم، نقلاً عن سامي هداوي
- وكالة وفا – قائمة القرى والمدن الفلسطينية التي احتُلت وطُرد أهلها سنة 1948
- PalQuest – قزازة، قضاء الرملة؛ للمقارنة ومنع الخلط بين القريتين
- PalQuest – منهجية مشروع All That Remains والعمل الميداني